مقياس فلسفة التاريخ

المحاضرة الرابعة(4):

**نظرية الأطوار الثلاث (طور الآلهة، طور البطولة، الطور البشري) للمؤرخ الإيطالي باتيستا فيكو.**

**التعريف ب: باتيستا فيكو (1744-1667) م:**

هو مؤرخ وفيلسوف إيطالي، وقد تلقى تعليمه في مؤسسات دينية (مدرسة الأباء اليوسوعين) حيث درس اللغات القديمة خاصة اللاتينية واليونانية وكذلك الأدب والبلاغة والفلسفة واللاهوت... (1).

ويُعد البعض فيكو في قيمته في الثقافة الأوروبية الغربية كقيمة ابن خلدون في الثقافة العربية الإسلامية خاصة في حقل الدراسة التاريخية (2).

من أكثر كتبه أهمية وشهرة كتاب" علم جديد حول الطبيعة العامة للشعوب"، الذي ضمنه الكثير من أفكاره حول حركة التاريخ وتفسيرها.

وقد ركز بشكل خاص على اعتبار التاريخ من صنع الإنسان نفسه، وهو بذلك نزع التفسير اللاهوتي الذي حاولت الكنيسة أن تثبته كمصدر وحيد للتعامل مع التاريخ (3).

**نظرية الأطوار الثلاثة:**

استنتج فيكو لقانون الأطوار الثلاثة للحضارات والأمم من خلال دراسته لتاريخ الحضارات السابقة والتي رأى أنها تمر في مسارها بثلاثة مراحل:

1. مرحلة الألوهية (الحكومة الثيوقراطية):

ويكون الناس في هذه المرحلة – حسب فيكو- مرتبطين بالمعتقدات الدينية، ويفسرون كل شيئ يحدث لهم أو أمامهم على هذا الأساس، وتكون السلطة في يد رجال الدين، ويطغى التفسير اللاهوتي على غيره.

1. مرحلة البطولة (الحكومة الأرستقراطية):

تنتقل الشعوب في هذه المرحلة إلى الاعتقاد في أبطالها، ممن يتوفرون على ميزات قيادية أو فكرية خاصة، وبسبب ذلك تكون لهم حسب فيكو مكانة خاصة، بل وتنسج حولهم الأساطير والبطولات في حياتهم وبعد وفاتهم، ويكون هؤلاء سببا في بناء دول ومجتمعات أكثر تنظيما وعدلا، وهم بذلك في صنع وتوجيه حركة التاريخ.

1. مرحلة البشرية (الحكومة الديمقراطية):

وهي المرحلة التي تنضج فيها الشعوب حسب الفيلسوف فيكو، وتتجه إلى اختيار حكامها، ويسود القانون وحكم العدالة...

وهو بهذا التدرج في تفسير حركة التاريخ فإنه يناقض ما كانت تؤمن به الكنيسة من الاستقرار والثبات في حركة التاريخ.

يقول الدكتور ناصر الدين سعيدوني أن تفسير فيكو للتاريخ ينطلق من مفهوم التطور المُطرد والذاتي للتاريخ وأن: " قانون الحياة وناموس الطبيعة لا يسمح بتوقف التاريخ ولا يسلم بانتفاء حل المشاكل المطروحة على المجتمعات في حالة الجمود والأزمات والفوضى"(4).

وعليه فإن المجتمعات حينما تكون في حالة أزمة فهي أمام ثلاثة خيارات:

* علاج داخلي بظهور بطل أو زعيم منها يقودها نحو الخروج من الأزمة، وقد لا يكون هذا البطل "شخصا" بالضرورة فقد يكون "فكرة ملهمة".
* علاج خارجي من خلال فكرة خارجية أقوى، أو جيش غازي، أو تحكم أمة متفوقة مجاورة.
* في حالة لم يحدث لا هذا ولا ذاك " تطبق العناية الإلهية" حلها الأخير حسب فيكو وهو استمرار حالة الفوضى وبالتالي فناء تلك الأمة ليس بموت أفرادها ولكن باندماجها في غيرها. (5)

إحالات:

1. عبد الحليم ماهور باشا، فلسفة التاريخ مدخل إلى النماذج التفسيرية للتاريخ الإنساني، مركز نماء للبحث والدراسات، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2016، ص 80.
2. نفس المرجع، ص 80.
3. نفس المرجع، ص 82.
4. ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر، دار بني مزغنة، الجزائر، 2016، ص 202.
5. نفس المرجع ، ص 203.